محاضرات إسلامية هادفة
٢

التوحيد محور الحياة

تأليف
الدكتور عمر سليمان الأشقر





مكتبة الفلاح



دار النفائس

محاضرات إسلامية هادفة
٢

التوحيد محور الحياة

تأليف
الدكتور عمر سليمان الأشقر





٢١٤
عمر عمر سليمان الأشقر

التوحيد محور الحياة / عمر سليمان الأشقر

ط ٢ ـ عمان (د . ن) ١٩٩١

(٤٦) ص

ر . أ . ٧١٦/١٠/١٩٩٠

١ ـ الإيمان بالله أ ـ العنوان

تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

الطبعة الثانية
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

دار النفائس
الأردن - عمّان - العبدلي - مقابل جوهرة القدس
هاتف ٦٩٣٩٤٠ - ص.ب ٢١١٥١١ - فاكس ٦٩٣٩٤١

مكتبة الفلاح
الكويت - شارع بيروت - مقابل بريد حولي القديم
تلفون: ٢٦٤٧٧٨٤ - ص.ب: ٤٨٤٨ الصفاة
الرمز البريدي: ١٣٠٤٩ الكويت - برقياً: لاغانكو

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى من اهتدى بهديهم ، واتبع سبيلهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من تأمل في خاتمة الرسالات السماوية تأمل فقيه معتبر - علم يقينا أن توحيد الله هو محور هذه الرسالة ، بل هو محور كل الرسالات السماوية ، وهو كذلك محور حياة الانسان الحق ، فقيمة الانسان الحقيقية تتبدى عندما يجعل الانسان ربّه محور حياته ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وبذلك تتفق وجهة الانسان ووجهة الكون الذي يعيش فيه ، فالكون كله مطيع لله ، خاضع لسطانه ، مسبح بحمده ، فإذا تمرد العبد على ربّه أصبح نغمة نشازا في هذا الوجود الهائل المتجه إلى الله وحده بالطاعة والخضوع . وهذه الرسالة أصلها محاضرة ألقيت في المؤتمر السنوى المتمم للعشرين لجمعية الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وايرلندا الذي انعقد في الفترة

من ١٨ إلى ٢١ من ديسمبر ١٩٨٠ ، وقد هدفت إلى تجلية القضية الكبرى التي ينبغي أن تكون مدار حياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم ، ألا وهي توحيد الله تبارك وتعالى .

وعلى الدعاة والكتاب والمدرسين أن يجهدوا أنفسهم في بيان هذه القضية بشتى الوسائل والأساليب ، لأنها القضية العظمى التي يجب على كل فرد من بني البشر أن يستوعبها ويدركها ، وإلا فإنه يخسر الدنيا والآخرة ، نسأل الله أن يمن علينا بإخلاص الدين له ، والعمل بطاعته ، إنه نعم المولى والنصير .

التوحيد محور الحياة

إنَّ الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3]

أما بعد : فإنّ أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدى

---

(١) سورة آل عمران / ١٠٢

(٢) سورة النساء / ١

(٣) سورة الاحزاب / ٧٠ - ٧١

محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

انتم الأمل لعالم يلفه الشقاء :

أيها الإخوة والأخوات : أنتم وأمثالكم من الفتية والفتيات في مشارق الأرض ومغاربها الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى - الأمل الذي ينعقد عليه الرجاء كي يخلص الحياة من الظلم والطغيان الذي يلفّ العالم اليوم ويكاد يدمره تدميرا .

لقد بلغت البشرية اليوم شأوا عظيما في العلوم المادية ، فحلقت في أجواز الفضاء ، وغاصت في أعماق الأرض ، وكشفت كثيرا من أسرار المخلوقات ، ولكنها في العلوم التي تعرفها بخالق الحياة ، وأسرار الوجود ، وخفايا النفس الإنسانية جاهلة جهلا يكاد يكون مطبقا ، ولذا فإنّ العلوم المادية التي حصلت عليها قد تكون نقمة لا نعمة ، وقد يدمر البشر ما شيدوه من حضارة وعمران بأيديهم .

لقد جهل الإنسان في هذه الأيام نفسه ، جهل سبيل السعادة والهناء ، الناس البعيدون عن وحي الله المنزل - يبحثون عن السعادة والطمأنينة ، ولكنهم لا يعرفون طريقها ، فهم كمن يضرب في صحراء شاسعة مترامية الأطراف ، تشابكت طرقها ،

وانمحت معالم دروبها ، فهم يهيمون على وجوههم من غير دليل يهديهم ، فأنّى يعرفون المسار الموصل إلى الهدف المنشود ؟ .

لقد هجرت البشرية اليوم تعاليم الأنبياء الذين جاؤوا ليعرفوها الطريق الذي يوصلها إلى الشاطيء الآمن ، ويقيمها على الصراط المستقيم ، واستكبرت البشرية عن أن تأخذ بالمنهج الذي وضعه خالقها وإلاهها ، فكانت عاقبتها هذه الشقوة التي يحس بها الناس في قرارة نفوسهم ، وتبدو آثارها على قسمات وجوههم ، والله إنني لألمح آثار هذه الشقوة تطل من العيون ، وترتسم على الوجوه ، عيون ووجوه أهل هذه الديار[1] التي أعرضت وتولت عن الله ودينه ، وهذا حال كل بلدة شردت عن الله ومنهجه ، ولا يعرف هذا الأسى وذلك الحزن والشقاء إلاَّ من تخلص من جاهليتهم هذه ، وقد لاحظ هذا الذي لاحظته محمد أسد[2] بعد إسلامه ، وسجله في كتابه « الطريق إلى مكة » والذي عنون له في طبعة لاحقة بعنوان « الطريق إلى الإسلام » .

إنَّ الأمراض النفسية والعقد النفسية سمة هذا العصر ، وإن

---

(١) المحاضرة ألقيت في بريطانيا

(٢) كان اسمه قبل الاسلام ليوبولد فايس ، وكان يهوديا من النمسا

علماء النفس وعلماء الاجتماع الذين يهرول إليهم أبناء هذه المجتمعات ليشفوهم من عقدهم وأمراضهم لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، بل إنَّ كثيرا من هؤلاء يشكون من نفس الأمراض التي يطلب الناس علاجها عِندهم ، فكيف يعالجون غيرهم من شقوتهم ، وهم يعيشون في مثل تلك الشقوة ! !

يحدثني مشرف اجتماعي في احدى المدارس بعد علاقة صداقة بيني وبينه عن هموم أثقلت نفسه ، وغزت قلبه ، فعكرت صفو أيامه ، وأسهرت لياليه ، وهو لا يعرف لها سببا ، ولا يجد لها علاجا ، ولم يجد أمامه الا تلك التعاويذ التي كانت تعوذه بها جدته ، والا أن يضع المصحف تحت وسادته عند منامه ، قولوا لي - بالله عليكم - كيف يحلّ مثل هذا المثقل بهمومه وأعبائه هموم الآخرين ومشكلاتهم ، ولو أحسن الصلة بالله ، وشغل جزءا من يومه في ذكر الله لاطمأن قلبه وهدأت نفسه ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[1]

وإن الآلام والهموم والأوجاع النفسية اليوم ليست مقصورة على أهل الدول المتأخرة ، ولكنها سمة المجتمعات التي يدعي أصحابها

(١) سورة الرعد / ٢٨ .

التقدم والحضارة والتمدن ، ولقد فقد الناس في هذه الحياة طعم الحياة ، فهانت عليهم الحياة ، وهانت عليهم أنفسهم ، ومن هنا جاء هذا التمرد من الشباب والفتيات في مثل هذه المجتمعات ، هذا التمرد الذي نرى مظاهره في الهيبيز ، والتافهين ، وفي أجيال المخدرات حيث يهرب هؤلاء من واقعهم وهمومهم بتعاطي تلك السموم التي تفقدهم عقولهم ، وتهدم أجسادهم وقواهم ، ولقد بلغ الأمر بهؤلاء إذا ما واجهتهم الصعاب والمشكلات أن يرقى أحدهم إلى قمة بناء مرتفع ، ثم يلقي بنفسه ، فيصل إلى الأرض أشلاء ممزقة ، وقد هالني خبر قرأته بالأمس ، قرأت خبر مظاهرة صاخبة بلغ تعداد المشاركين فيها مائة ألف ، بقي أن تعلموا أن هذه المظاهرة لم تقم لأن الروس قد احتلوا أفغانستان ، وأذاقوا أهلها البلاء أشكالا وألوانا ، ولا لأن المئات في الهند وفي غيرها يسقطون كلّ يوم موتى من الجوع ، ولا لأن حقوق الإنسان انتهكت في كثير من بقاع الأرض ، إنّما قامت لأن مغنيا اغتيل وسقط ميتا ، ولم يكتف بعض هؤلاء بالمظاهرة تعبيرا عن حزنهم ، وآلامهم ، لقد انتحر اثنان من المتظاهرين ، أي قيم هذه ، وأي مثل ؟ إنها حياة تافهة تعظم التافهين ، وتنهي حياتها حزنا على هذه التفاهات ، أين هذا من المسلم الذي لا يحركه إلا أمر الله ، ولا يوقفه إلا نهي الله ، والذي جعل حياته ومماته وقفا على مولاه ! !

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] ،

بقي أن نعلم أنَّ هؤلاء المتظاهرين ، وأولئك المنتحرين التافهين ليسوا في دولة متأخرة، وإنَّما هم أبنـاء دولة متحضرة هي أمريكا ، ويذكرني هذا بشيء مماثل حدث في مصر عندما هلك المغني المعروف عبدالحليم حافظ وانتحر على أثر وفاته أربعة أشخاص .

انظروا أيها الاخوة إلى حياة الناس في هذه الديار المتحضرة ، أين الأمن فيها ؟ أين السكينة والهناء ؟ فقد ذلك كله ، ومن يطالع التلفاز ، وينظر في الصحافة ، ويسمع الأخبار ـ يعلم المدى الذي وصلت إليه الجريمة التي أقلقت مضاجع الناس ، وجلبت الخوف والرعب إلى النفوس ، إنَّ الدماء تسيل في كل يوم لتعلن عن هذا العذاب وهذا الشقاء الذي يعيشه الإنسان .

انتم حملة دعوة الرسل العظام :

وأنتم أيها الإخوة أمل البشرية في حاضرها كما كان أسلافكم

---

(١) سورة الأنعام / ١٦٢ ـ ١٦٣ .

أملها في ماضيها ، أنتم لا تمثلون أمة يمتد تاريخها إلى ألف وأربعمائة عام فقط ، ولكنكم تمثلون تاريخا يمتد إلى أغوار بعيدة في الزمان ، أنتم امتداد للرسل الكرام ، والأنبياء العظام ، الذين تلاحقوا على مدار التاريخ الإنساني ، يحملون مشاعل الهداية للبشرية ، أنتم تحملون نفس الراية التي حملوها ، وتعتقدون العقيدة التي اعتقدوها ، وتنشدون الهدف الذي راموا تحقيقه ، كلنا أيها الاخوة تجمعنا مسيرة واحدة ، وجهتها ومعبودها هو الله ، فإليه نسير ، وبهديه نستنير .

ما دوركم ؟

إنَّ دورنا ـ أيها الإخوة ـ نحن الذين رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ـ هو دور الرسل الكرام وأتباعهم على مرّ العصور ، أن نرد البشرية الشاردة التائهة الحائرة التي ضلّت في منحنيات الطريق إلى ربنا الواحد الأحد ، كي ترضى به ربّا ومعبودا ، وبدينه منهجا وطريقا ، وبرسوله هاديا ومبشرا ونذيرا ، وهذه المهمة التي نحملها اليوم على كواهلنا هي المهمة التي حملها الأخيار من أسلافنا الكرام ، ونحن إذ نحملها فإنما نقوم عن البشرية بعبء أشفقت السموات والأرض من القيام به ، وتحمله

بنو آدم ، ولكنّ كثيرا منهم ضيعوه ، وتهربوا من حملة ، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(١) .

هذه الأمانة الغالية تحملها المصطفون الأخيار ، فقد أرسل الله جميع الرسل للمناداة بها ، وتحقيقها في واقع البشر ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٢) ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٣) .

وقد أوجز الحق هذه الغاية في كلمات قليلة خاطب بها نبيه موسى عليه السلام عندما كان عائدا من مَدْيَنَ فأضل الطريق في صحراء سيناء ، فانطلق إلى نور لاح له من بعد ، وعندما أتاه خاطبه الحق قائلا : ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾(٤)، بهذه أمره ، ومن أجل هذا خلقه ، ومن أجل

---

(١) سورة الاحزاب / ٧٢

(٢) سورة الانبياء / ٢٥

(٣) سورة النحل / ٣٦

(٤) سورة طه : ١٤

هـذا خلق البشر جميعـاً ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1] .

إن معرفة الله والعلم به والتوجه إليه هي نقطة البداية الصحيحة في المسيرة الانسانية ، والضلال عن الله والجهل به هو نقطة الضياع في الحياة الإنسانية ، إن الإيمان بالله قاعدة يبنى عليها بناء هائل ، وأصل لا يغنى عنه غيره ، فإذا قام البناء على غير هذه القاعدة كان بناء ضعيفا مختلا ، وفي كثير من الأحيان يقتل من بناه ، ويدمر من سكنه .

بالعلم بالله ومعرفته تزكو النفوس :

إنَّ العلم بالله يزكي النفس الإنسانية ، فالعلم هو الاصل الذي يقوم عليه العمل ، والنشاط الانساني الدائم الدائب أثر لمعتقدات الانسان وأفكاره ، وقديما قالوا : الانسان أسير أفكاره .

---

(١) سورة الذاريات ٥٦ ـ ٥٨

ولذلك نجد القرآن يأمرنا بالتعرف على ربنا ، والعلم بأسمائه وصفاته ، يقول الله لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[1] ، فكل انسان مطالب بأن يعلم بأن لا اله الا الله ، وأن الله سميع عليم ، غفور رحيم ، عزيز حكيم ، غني حميد إلى غير ذلك من الصفات ، قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] وقال : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[3] وقال : ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4] ، وقال ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[5] .

وقد حدثنا الرب تبارك وتعالى عن صفاته وأفعاله ، وكانت السور والآيات التي تحدثنا عن ذلك هي اعظم سور القرآن وآياته .

ففي الحديث أن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ، وفي الحديث ان آية الكرسي اعظم آية في كتاب الله ، وهذه الآية ،

---

(١) سورة محمد : ١٩

(٢) سورة البقرة : ٢٤٤

(٣) سورة آل عمران : ٩٨

(٤) سورة البقرة : ٢٦٠

(٥) سورة البقرة : ٢٦٧

وتلك السورة حديث عن الله تبارك وتعالى وصفاته ، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1]، انها تثبت لله الوحدانية ، في ذاته ، فليس له مثيل ولا نظير ولا ند ولا شريك ، تعالى عن الصاحبة والولد .

وآية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2] .

هذه الآية حديث عن الله ، فهو المعبود الحق المتصف بالحياة التامة التي لا يعروها نقص ، والقيومية التامة فهو قائم بنفسه مقيم لغيره ، ولكمال حياته وقيوميته ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[3] والسنة اوائل النوم ، وهو الملك الحق ، الذي يملك ما في السموات والارض ، والكل تحت قهره وفي قبضته ، لا يشفع احد عنده الا

---

(١) سورة الاخلاص : ١-٤

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥

بإذنه ، وعلمه محيط بعباده ، يعلم ما قدموا وما اخّروا ، ولا ينال البشر من العلم الا ما شاء الله ان ينالوه منه ، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) .

واستمع الى هذه الآيات الكريمة التي تحدثنا عن ربنا وتعرفنا به ثم لاحظ اثرها في نفسك : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢) .

ويفصل القرآن لنا القول في بعض صفات الله كي تأخذ ابعادها في نفوسنا ، يحدثنا ـ مثلا ـ عن علمه ، فإذا به علم واسع محيط ، يحيط بالحياة والاحياء ، يخترق الحجب والظلم ، ويصل إلى اغوار النفوس ، والكبير والحقير في علمه سيان ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٢) سورة الحشر : ٢٢ ـ ٢٤

مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1] .

وقال في موضع آخر : ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[2] .

وقال في موضع ثالث : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنعام : ٥٩ ـ ٦٠

(٢) سورة سبأ : ٢ ـ ٣

(٣) سورة الرعد : ٨ ـ ١٠

وكما حدثنا الحق عن صفاته حدثنا عن أفعاله ، وهو حديث يخالط النفس ، ويأسر الروح ، فترى الانسان يستمع إلى الآيات وهي تجول به في هذا الكون تبصره بصنع الله ، وكأنما هو يشاهد هذا الكون وما فيه لأول مرة ، فإذا القلب موصول بالله تبارك وتعالى ، وإذا بالنفس تخشع ، والعين تدمع ، واللسان يسبح لله :

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

(١) سورة الأنعام : ٩٦ ـ ٩٩

وقال في موضع آخر :

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ
إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ
وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة النحل : ٥ ـ ١٤

بالايمان بالله يكشف الاسرار ويتحدد المسار :

إن معـرفة الله من خـلال صفاتـه وأفعالـه هي نقطة البـداية الصحيحة كما أسلفت من قبل في حياة الانسان ، واذا وفق العبد الى هذه النقطة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ذلك أنه اهتدى إلى الله ربه ، ومن ثم فإنَّه يضع قدميه على الطريق الصحيح في رحلته ، وسيصل أخيرا إلى نهاية طيبة هناك في جنان الخلد ، إن علمنا بالله ومعرفتنا به ، تصلنا بالله ، وتقوم نفـوسنا ، وتصلحهـا ، ثم انها تعرفنـا بأصلنا ، وبالكون من حولنا ، الايمان بالله يكشف لنا سرّ الكون ، وسرّ الوجود ، ويعرفنا بغاية الوجود وغاية الانسان ، ولقد احسن البخاري كل الاحسان عندما بدأ كتابه الجامع الصحيح الذي هو اصح كتاب بعد كتاب الله بكتاب الوحي ، لأن الوحي هو السبيل المأمون للمعرفة ، لا اقصد معرفة الله فحسب ، بل معرفة الحقائق الكبرى التي تقوم عليها الحياة ، فإنك اذا آمنت بالله ، وصدقت به ، وقبلت ما جاءك من عنده كشفت لك كثير من الاسرار .

إن البشر الذين يرفضون وحي الله يحتارون وتضطرب افكارهم ولا يقر لهم قرار ، ترى البشر اليوم يبحثون عن اصلهم فيضلون ، وينظرون في غاية وجودهم فيحتارون ، وينظرون في مصدر الكون فيجهلون ، ويبحثون عن العلاقة بين الـرجل والمـرأة ، ووظيفة

المال ، وطريقة سياسة الامة فلا يهتدون ، انها نظريات تتضارب وتتصارع ، لقد وصل الحال بالبشر اليوم إلى ان قالوا بأن الكون وجد من غير موجد ، والحياة الدنيا هي الغاية ، وليس وراءها للانسان مطلب ، وقامت العلاقة بين الجنسين على الرذيلة ، واخرجوا المال عن وظيفته فاستعملوه في الربا ، ولا تزال نظريات الحكم في الشرق والغرب تتغير وتتبدل ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾(١) ، إن الظلمات هي تلك النظريات والعلوم التي تخطط للانسانية بعيدا عن منهج الله .

المسلم يؤمن بالله ثمّ يستمد منه كل شيء ، من خلال وحيه الى رسله ، نعرف ربنا ، ونعرف أنفسنا وطريقنا ، والكون من حولنا ، وعندما يكون البشر كذلك يتحول هذا الصراع الذي زلزل المجتمعات الانسانية الى وفاق ، وتتوقف هذه المآسي التي سببت الدمار والكوارث ، وتختفي الدعوات والنظريات التي تفرق البشر ، ويعود الامر إلى نصابه ، ويصبح البشر امة واحدة كما اخبر

(١) سورة البقرة : ٢٥٧

الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾(١) ، فالذين انتموا إلى دعوة التوحيد يشكلون امة واحدة على الرغم من اختلاف العصور والامكنة والاشكال والأجناس .

الله هو الغاية وله التوجه والعمل :

ولكن العلم بالله لا يكفي ، بل يجب ان يكون الله هو الغاية أيضا ، فالنشاط الانساني يجب ان يوجه وجهة معينة ، وبذلك تتسق البداية والنهاية ، ويتحد المنطلق والغاية ، ان الاصل الاول الذي تحدثنا عنه هو العلم بالله ومعرفته ، والاصل الثاني الذي يبنى على ذلك هو التوجه إليه وحده ، ولا تصلح حياتنا بدون ذلك ، وتلك نتيجة منطقية لمن آمن بالله ربا وخالقا ، ولمن آمن بصفاته وأفعاله ، كيف نقول ان الله هو الذي خلقنا وأوجدنا وخلق الكون ، وهو الذي يرزقنا ويطعمنا ويسقينا ثم نتوجه إلى غيره ، ونتحاكم إلى غيره ؟!! هذا تناقض ما بعده تناقض ، يرفضه المنطق السليم ، والعقل المبصر اليقظ .

ولقد وقعت البشرية كثيرا في هذا التناقض ، فكثير من الناس

(١) سورة المؤمنون : ٥٢

اعترفوا بالله ربا وخالقا ورازقاً ، ولكنهم لم يخضعوا لجلاله وعظمته ولم يقدسوه ، ولم يسألوه ويعتمدوا عليه ويتوكلوا عليه ، بل كثير من الناس اتجهوا إلى غيره بالتقديس والتعظيم ، وسألوا من لا يستحق السؤال ، وقد ناقش الرسل اقوامهم في عدم استحقاق الآلهة التي يعبدونها للعبادة ، وان الذي يستحق ذلك هو الله ، لانه هو الخالق الرزاق الحي السميع البصير المحيي المميت ، لقد حاج ابراهيم قومه في الألهة التي يعبدون ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(١)
انها لا تستحق العبادة لانها لا تسمع داعيها، ولا تضر ولا تنفع ،

---

(١) سورة الشعراء : ٧٠ - ٨٢

الله وحده الذي يستحق العبادة لانه المُطعِم المُسقِي، الذي يشفي
المريض ، ويميت ويبعث الموتى ، وهو الذي يغفر الذنوب ويتجاوز
عن الزلات ، وقد امر الله رسوله محمدا ﷺ ان يواجه المشركين
الذين اتخذوا من دون الله آلهه وأن يبين لهم ان هذه الآلهة لا تستحق
شيئا من ذلك وأن الله وحده هو المستحق لذلك كله ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا
بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ
إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[١] .

مادام الله وحده الذي فعل ذلك كله فهو المستحق للعبادة ، ومنهجه الذي انزله للناس كي يسيروا وفقه في حياتهم الخاصة والعامة ، وكي تسير عليه مجتمعاتهم ـ هو المنهج الوحيد الصالح للحياة ، والبشر الذين يعرفون الله ويتوجهون اليه وحده دون سواه ، ويتلقون منهجه ويعملون به ـ هم الذين يحققون التوحيد والوحدة ، توحيد الاله الخالق الرازق فهذا الكون له رب واحد وخالق واحد ، وبذلك لا يضيع الانسان بين أرباب كثيرة تحيرة وتضله ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[٢] .

وهو يتوجه اليه وحده ، يتعرف عليه من خلال اسمائه وصفاته ، فيشغل نفسه بأعظم قضية وأشرفها ، ثم تكون أشواقه وآماله متجهه إلى الله الواحد ، فله حبه ، ومنه خوفه ، واليه رجاؤه ، وعليه توكله واعتماده ، يوجه عمله اليه وحده ، اللهم لك نسجد ، واليك نسعى ونحفد ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] ، نعم يصبح الله هو محور

(١) سورة النمل : ٥٩ ـ ٦٤

(٢) سورة يوسف : ٣٩

(٣) سورة الانعام : ١٦٢

العلم والفكر والعمل ، وكل ذلك وفق تعاليم واضحة تلقاها العبد من الله ، لقد كان (الله) هو محور حياة الانبياء والرسل والصالحين من البشر ، وحسبك ان تنظر في مسيرة الرسل والانبياء من خلال القرآن فتعلم هذا ، وكل التعاليم التي انزلت الى الرسل تدور حول هذه القضية ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (١) وامر الله رسوله الخاتم ان يقول : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢)

مدار القرآن كله على التوحيد :

ومن تأمل في كتاب الله جيدا وجد مصداق هذه الآية فيه ، فالقرآن كله دائر حول هذه القضية ، وكل ما أوحاه لرسوله ـ ﷺ ـ داخل في هذه المسألة ، فالقرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته ، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، وهذان هما جانبا التوحيد : التوحيد العلمي الخبري الذي يصف الله ويخبر عن افعاله ، والتوحيد القصدي

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٥

(٢) سورة الانبياء : ١٠٨

الطلبي ، الذي يوحد وجهة العباد نحو رب العباد ، وإمّا أوامر ونواهي والزام بطاعة الله ، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإمّا خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة ، فهذا جزاء التوحيد ، وإمّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهذا جزاء من خرج عن التوحيد ، فالقرآن كله عن التوحيد ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(١)

من ضل عن الله خسر كل شيء :

إن توحيد الله نقطة البداية في حياة المسلم وحياة الامة الاسلامية وهو نقطة النهاية ، ومن ضل عنه خسر كل شيء ، خسر الدنيا والآخرة ، وهو اضل من حمار أهله ، فحياته ضنكه ، وسعيه مردود ، وذنبه غير مغفور ، وآخرته شقاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ

(١) سورة الكهف : ١١٠

فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(١) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾(٢) ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾(٣) .

ومادام ذنب هؤلاء غير مغفور فهم محرومون من الجنة خالدون في النار ابدا : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾(٤) .

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٥) .

وقد حدثنا الرسول ﷺ « ان ابراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبره ، فيقول له ابراهيم ، الم أقل لك ، لا

---

(١) سورة النساء : ٤٨

(٢) سورة النساء : ١١٦

(٣) سورة الحج : ٣١

(٤) سورة المائدة : ٧٢

(٥) سورة الاعراف : ٤٠ ـ ٤١

تعصني ؟ فيقول له ابوه : اليوم لا اعصيك ، فيقول ابراهيم : يارب إنك وعدتني الا تخزني يوم يبعثون ، فأي خزى اخزى من أبي الابعد ؟ فيقول الله تعالى : « إني حرمت الجنة على الكافرين » ، ثم يقول لابراهيم : ما تحت رجليك ؟ فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ من قوائمه فيلقى في النار »[1] وصدق الله اذ يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[2] .

أما الموحدون المستقيمون فسعيهم مشكور وذنبهم مغفور ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[3] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، انظر مشكاه المصابيح ، حديث رقم (٥٥٣٨) جـ٣ ص : ٥٨ والقترة هي السواد من الكآبه والحزن ، والغبرة : الغبار ، والذيخ : ذكر الضبع الكثير الشعر ، وإنما مسخه الله ضبعا حتى لا يخزى به ابراهيم بعد ذلك لعدم معرفة الناس انه والد ابراهيم ، وبذلك يتحقق وعد الله لابراهيم ، ولكنه لا يدخل الجنة .

(٢) سورة محمد : ٣٤

(٣) سورة الكهف : ١٠٧

الدعوة إلى التوحيد واجب الدعاة الاول :

واذا كان هذا شأن التوحيد ، وذاك خطره فإنه حريّ بالمسلم ان يتعرف اليه ، ويدقق فيه حتى ينجو من الشرك ، خاصة وأن الشرك خفى أخفى من دبيب النمل كما يقول ابن مسعود .

وحرّى بالدعاة أن يوجهوا جهودهم إلى تبصير الناس ، كيف يوحدون ربهم ، وكيف يخلصون دينهم لله ، وعليهم أن يجعلوا ذلك هو الأصل والأساس ، كما كان الرسل من قبل ، وعليهم أن يربطوا مشكلات الناس وقضاياهم بالأصل الكبير .

الشرك لم ينته من ديار الاسلام :

إن مظاهر الشرك وصوره لا تزال بارزة في حياة المجتمعات الانسانية الى اليوم ، لا تزال التماثيل والاصنام والابقار والفئران تقدس في كثير من ديار العالم ، ولا يزال في ديار المسلمين أقوام يقدسون الاموات ويعبدونهم من دون الله بالاستغاثة والاستعانة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم .

الشرك الاكثر انتشار في عصرنا :

ولكن المصاب الكبير اليوم هو مشاركة البشر لله في حكمه ،

حيث قام فيهم من يشرعون للناس قوانين وتعاليم تخالف منهج الله وشرعه ، لقد اعتدى رجال القانون ورجال الحكم على حق من حقوق الله ، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾(١) وجعلوا انفسهم اندادا لله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾(٢) وهذا من الجهل والضلال ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٣) ، وهؤلاء الذين يضعون القوانين والذين يحكمون بها والذين يرضون بالتحاكم اليها يناقضون دعواهم عندما يدعون أنهم مؤمنون موحدون ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا

---

(١) سورة يوسف : ٤٠

(٢) سورة الشورى : ٤١

(٣) سورة المائدة : ٥٠

(٤) سورة النور : ٤٧

بَعِيدًا ﴾ [1] وقد ذم الحق تبارك وتعالى اهل الكتاب الذين تابعوا احبارهم ورهبانهم الذين شرعوا خلاف ما انزل وعدّهم عابدين لهم ، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [2] إن دعوة التوحيد تقضي الالتزام بالمنهج الحق ، اما الاعتراف بالله ربا ومعبودا ، والتوجه اليه في الصلاة والصوم والدعاء ، والاستكبار عن الالتزام بشرعه في امور السياسة والاقتصاد والحكم والتربية ونحو ذلك فهذا من جنس ضلال المشركين الذين عبدوا مع الله آلهه اخرى .

معالم هادية في اعظم قضية :

وعلينا اليوم ونحن نبذل الجهود في شتى بقاع الارض لحمل الراية التي استلمناها من اسلافنا أن نتذكر الامور التالية :

١ ـ أن دعوة الناس إلى توحيد الله علما ومعرفة في القلب والضمير ، وعبادة وتوجها بالعمل والسلوك ، هي القضية الكبرى في الاسلام وهي القضية التي جرى حولها الصراع

---

(١) سورة النساء : ٦٠

(٢) سورة التوبة : ٩

خلال تاريخ البشرية الطويل ، وهي القضية التي حملها الرسل ، وكانت المحور الذي ترتكز دعوتهم عليه ، والذين لم يفقهوا هذه القضية خسروا خسرانا مبينا .

٢ ـ إن قضية توحيد الله سبحانه وتعالى تتحقق بأمور :

الأول : أن نعرف ربنا سبحانه ، ونقر اقرارا جازما بأنه خالقنا وخالق هذا الكون الذي نحن فيه ، وما فيه من عوالم ، ونوقن بأنه قائم على هذا الكون يدبره ويصرف اموره ، وأن علمه محيط بمخلوقاته ، وقدرته نافذة فيهم ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) .

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يدعو ربه مقرا بهذه الحقيقة وهو يناديه ويناجيه ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ
إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ
فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ
مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١) .

الثاني : أن نعترف جازمين أن هذا الاله الخالق الرازق المدبر المصرف القادر المتصف بصفات الكمال والجلال هو المستحق للعبادة دون سواه .

وأكثر الناس كانوا ولا يزالون يصدقون بوجود الله وأنه الخالق للكون ، وأنه الرازق المحيي المميت ، ولكنهم لا يعبدونه وحده ، بل يعبدون غيره معه ، ومن هؤلاء العرب الذين بعث إليهم الرسول ﷺ ، فقد كانوا يعبدون الله ويحجون له ، ويدعونه ، ويزعمون أنهم أبناء ابراهيم وحملة دعوته ، ويقرون لله بالخلق والرزق والاحياء والإماته ، ولكنهم يعبدون معه الاصنام والاوثان والانداد ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧

(٢) سورة العنكبوت : ٦١ .

﴿ قُلْ لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[1] .

ولا شك أن هذا تناقض بيِّن ، فكيف نصدق بأنَّ الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت ، ثم لا نقصده وحده بالعباده والدعاء والاستعانه ، وكيف نتحاكم إلى شرائع البشر ، ونتبع مناهجهم !! كل ذلك ضلال .

وأحب أن أبين هنا أن بعض الكاتبين يطلق اسم الايمان على الذين يعترفون بوجود الله ، ويقرون بخلقه للكائنات ، وإن لم يعبدوه ويتبعوا منهجه ، وهذا خطأ بيِّن ، فالايمان معروفة حدوده بيِّنة معالمه ، لا ينسب اليه إلا من أخذه كما جاء في الكتاب والسنة ، وقد سئل الرسول ـ ﷺ ـ عن الايمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله

---

(١) سورة المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٩

تعالى » فمن نقص ركناً من هـذه الاركان فليس بمؤمن ، وليس الإيمان مجرد التصديق بوجود الله فحسب .

وأمر آخر أحب أن أبينه هنا ، وهو أسلوب القرآن في محـاجة المشركين الذين يعترفون بوجـود الله وأنه الخـالق الرازق المحيي المميت المـدبر المتصـرف ، ثم يعبدون غيـره معه ، ولا يفـردونه بالعباده ، فقد أطال القـرآن في عرض الأمـر الأول ليلزم بالأمـر الثاني ، إذ الخالق الرازق . . . هو المستحق للعبادة دون سواه .

قال تعالى مخاطبا المشركين ليدلل على استحقاقـه العبادة دون غيره : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[١] .

الثالث : أن نتعرف على ربنا من خلال النصوص التي تحدثنا

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٣

عن أسمائه وصفاته وأفعاله ، فهذا هو المنفذ الذي يدلّ الناس على ربهم ويعرفهم به معرفة حقّه ، فالله لا يعرف بالرؤية والمشاهدة في الدنيا ، ومن يطالع كتاب الله بتدبر وتأمل فإنه يرى صفحات هذا الكتاب وقد امتلأت بالحديث عن الله وصفاته وأسمائه .

والتأمل في صفات الله وأسمائه ودعاؤه وتمجيده بها ـ هو الذي يحيي النفوس ويجلب لها الطمأنينة والحياة ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[1] ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[2] .

الرابع : مدلول العبادة واسع ، فالعبادة التي أمرنا بأن نفرد الله بها ، كلمة تتناول الشعائر التعبدية التي تعرف باسم العبادات ، كما تشمل العمل القلبي ، والسلوك العملي ، فليس المراد بالشريعة التي أمرنا باتباعها الشعائر التعبدية فقط ، كما هو المفهوم السائد اليوم .

الخامس : لا يكفي في التوحيد الاقرار لله بالوحدانية ، في ربوبيته والاهيته ، بل لابد مع ذلك من الكفر بالطواغيت التي

---

(١) سورة الرعد : ٢٨

(٢) سورة الاعراف : ١٨٠

تنصب آلهة تعبد مع الله ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾(١) ، فلا يكفي أن نعبد الله وحده ، ثم نهادن الكفرة والطواغيت ، بل من صميم الايمان الكفر بالباطل ومحاربته والوقوف في وجهه .

السادس : بغض الطواغيت وعبادها ، وقد زعم بعض دعاة الاسلام أننا لا نكره الكفرة والفاسقين ، ونحب لهم الخير ، لأنّ المسلم ليس حقودا ، وهذا الكلام فيه باطل وحق ، أما الباطل فهو زعمهم أن المسلم لا يكره أحدا ، وهذا غير صحيح ، فإن الله أوجب علينا كراهية الشيطان ، وبغض فرعون وأبي جهل وأضرابهم ، فهؤلاء أعداء الله يكرههم ويبغضهم ، والله يريد منا أن نبغض أعداءه ، وقد جاءت النصوص صريحة في هذا ، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾(٢) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦

(٢) سورة المجادلة : ٢٢

وحذرنا الله من موادتهم ومحبتهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾(١) .

وقد أمرنا الله بالاقتداء في هذا بإبراهيم والـذين معه ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾(٢) وهذه المسألة في غاية الوضوح والبيان في نصوص الكتاب والسنة .

اما الحق الذي في كلام هؤلاء فهي محبة الخير لهؤلاء الظلمة الكفرة وذلك بدعوتهم للايمان ، ومحبتنا لاسلامهم .

أيها الأخوة والأخـوات : إن معرفـة الله بأسمـائه وصفـاته ، والتوجه إليه بالدينونة ، توجها كليا شاملا ، والأخذ بمنهجه الذي أنزله في محكم كتابه ، وبينه رسوله ـ ﷺ ـ هو الدواء الشافي لأوجاع البشـرية وآلامهـا ، وهـو الـروح لأرواحنـا ، والنـور لنفـوسنـا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى

---

(١) سورة الممتحنة : ١

(٢) سورة الممتحنة : ٤

مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1]

لقد سمّى الله وحيه المنزل روحا ونورا ، فهو للارواح نور يمدها بالحياة الحقة ، فالإنسان بغير هذه الروح يعيش حياة بهيمية ، يأكل ويشرب وينكح النساء ، وهو في ذلك لا يفارق البهائم والحيوانات .

أما الروح التي تسمو بالإنسان في مدارج الكمال ، وتمده بمميزات فريدة فهي تلك الروح التي تسري في كيانه عندما يتصل بالمدد الالهي الذي أنزله الله من السماء على خاتم رسله وأنبيائه .

والبشر الذين لا يملكون هذه الروح موتى ، وإن كانوا في عالم الأحياء ، قال تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[2] ، كان ميتا عندما كان كافرا ضالا ، فأحياه الله بوحيه وكتابه ، والذي لم تخلص نفسه لهذا الدين فإن قلبه يكون مريضا ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[3] ، وشفاء أمراض القلوب

(١) سورة الشورى : ٥٢

(٢) سورة الأنعام : ١٢٢

(٣) سورة البقرة : ١٠

والأرواح يكون باتباع هذا الدين ، ولن تحيا هذه النفوس بما جاء به انجلز أو ماركس أو سارتر أو ميشيل عفلق أو غيرهم من التائهين الحيارى .

وهذا الوحي نور يكشف ظلمات الجهل والكفر التي تحيط بالنفس ،كيلا يضل العباد في دروب الحياة﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾(١) ، ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٢) .

ولقد ضرب الله مثلا رائعا للنور الذي يتلألأ في قلب العبد المؤمن الذي يستمد هداه من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - في سورة النور حيث يقول : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٢

(٢) سورة الشورى : ٥٢

(٣) سورة النور : ٣٥

فهذا مثل ضربه الله لنوره في قلب عبده المؤمن ، فقد شبه الله هذا النور بالمصباح ، وقلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الجوهري ، والشرع الذي يستمد القلب منه نوره بالزيت الصافي الجيد المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف ، ولا شك أن هذا النور الذي على هذا النحو نور قوي رائق (نور على نور) ، ولكن الذين يهتدون لهذا النور هم الذين اختارهم الله واصطفاهم ﴿ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[1] .

وكي نحصل على هذا النور القرآني الإيماني علينا أن نتولى ربنا وحده ، ونعرض عن المباديء الضالة والكافرة من شيوعية ورأسمالية وقومية ، ونقبل على منهج ربنا ودينه ، والا فإن أتباع المذاهب الأرضية ينتقلون من ظلمة إلى ظلمة ومن ضلال إلى ضلال ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2] .

أيها الأخوة والأخوات : إنَّ الذين يعيشون اليوم في نور الاسلام

---

(١) راجع تفسير ابن كثير لهذه الآية الكريمة فمنه استقينا .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧

يعز نفوسهم ، ويضيء أبصارهم وبصائرهم ، فيعرفون الحق والهدى ، ويعرفون الضلال والباطل من المباديء والمذاهب والقيم - هم الذين يمتد نورهم إلى حياتهم البرزخية ، وحياتهم الأخروية . أما الذين حرموا من هذا النور ، وعاشوا في دنياهم في ظلمات العقائد والتصورات والقيم والأفكار التي ابتدعها الفكر الإنساني المنحرف فستكون حياتهم القادمة كئيبة تعسة ، وسيندمون حيث لا ينفع الندم ، وتأمل معي هذه الآيات التي تحكي حال الفريقين في الدار الآخرة ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ
ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(1) .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك فيكم ، ويسدد خطاكم ، وأن يجزل لكم الأجر والثواب ، ويجعلكم مفاتيح خير ، مغاليق شر ، وأن ينفع بكم العباد والبلاد ، وأن يجزل الأجر والمثوبة للقائمين على هذا المؤتمر المبارك ، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(2) .

---

(١) سورة الحديد : ١٢ ـ ١٧ .

(٢) سورة الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢